رحمة الرسول ﷺ
في معالجة الأخطاء

إعداد:
د. عبدالكريم بن عبدالعزيز حمد الشملان
إدارة التعليم بمنطقة الرياض

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم رسل الله الرحمة المهداة والنعمة المسداة محمد بن عبدالله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، فإن هذا البحث يبرز صفة عظيمة لأعظم رجل وطأت قدماه هذه الأرض، محمد ﷺ وتجليات صفة الرحمة في أمر مهم وخطير في حياة البشر، وهو حالة الخطأ الذي لا يُعصم منه أحد من البشر. ويهدف البحث إلى إبراز عظمة الإسلام من خلال بيان عظمة رحمة رسوله الخاتم ﷺ في تعاملاته، وأخلاقه، وتصرفاته مع العموم، ومع المخطئين خصوصًا؛ بما يجذب قلوبهم إلى الإسلام، وإلى الثبات عليه. كما يظهر هذا البحث صفة "الرحمة" بوصفها مقصدًا من مقاصد بعثة الرسول الخاتم ﷺ وأن التحلي بها سبب جالب للاستجابة والقبول؛ بل يكشِف المفاهيم المغلوطة عن شخصية الرسول الكريم ﷺ من خلال مواقفه مع المخطئين، وتلمّس معالم رحمته في التعامل الراقي مع المخطئ، أيًّا كانت حاله؛ مما يبرز فنون التعامل وآداب العلاقات بين البشر، وكذلك بما ينظّم حالة السلوك الإنساني، واستقامتها، وتنظيمها بشكل يتوافق فيه الجانب النظري مع السلوك التطبيقي الفعلي.

وقد أثنى الله ﷻ على رسوله محمد ﷺ وأثنى كذلك على صحابته الكرام؛ فقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]. وشهد ﷻ لهم بالرحمة في التعامل فيما بينهم «رُحَمَاء بَيْنَهُمْ»؛ للتأكيد على أساس العلاقة التي ينبغي أن تكون بين أفراد الأمة؛ لكي تكون خير أمة أُخرجت للناس، كما أن النبي ﷺ شهد أن الصحابة رضي الله عنهم هم أفضل الناس وأخيرهم، عن عبدالله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته"[1]. ومع هذه الشهادات وهذا الثناء؛ لكن الإنسان لا يكون بمنأى ومعزل عن حدوث الأخطاء، فالإنسان ليس معصومًا عن الخطأ والقصور والنقص؛ لأسباب متعددة، وقد اتبع الرسول الكريم ﷺ منهجًا واضحًا، وشاملًا، ومتدرجًا في التعامل مع هذه الأخطاء، ومعالجتها بأساليب تحقّق أعلى درجات النجاح، والجودة، والفائدة، والنفع للفرد والمجتمع. ومما يبيّن عظمة الرسول ﷺ أن منهجه لم يعتمد على العقاب لما يصدر من أخطاء؛ إنما اعتمد على منهج "الرحمة" وما يعقبها من أوجه "إحسان" للمخطئين، على حسب حالة المخطئ ونوعه. وهو في معالجته للخطأ، يختار العلاج المناسب له.

وبعد الاستعانة بالله تعالى فقد انتظم عقد البحث في مقدمة، وفصلين، وخاتمة. كمايلي:

المقدمة: تحتوي: مشكلة الدراسة، وأسئلته، وهدفه، وأهميته، وحدوده، ومصطلحاته، ومنهجه، والدراسات السابقة.

الفصل الأول: رحمة الرسول ﷺ بالمخطئين، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: رحمة الرسول ﷺ بالمخطئين من غير المسلمين.

المبحث الثاني: رحمة الرسول ﷺ بالمخطئين من المسلمين، وفيه مطلبان:

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة (٣٤٥١).

المطلب الأول: رحمة النبي ﷺ في معالجة المخطئين من العالمين.

المطلب الثاني: رحمة النبي ﷺ في معالجة المخطئين من الجاهلين.

الفصل الثاني: صفات الراحم ﷺ وأساليب رحمته بالمخطئين، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: صفات الراحم ﷺ بالمخطئين

المبحث الثاني: أساليب رحمة ﷺ بالمخطئين.

خاتمة البحث وفيها: نتائج البحث، وتوصياته.

مشكلة البحث:

جاء الدين الإسلامي لينظّم للناس شؤون الحياة بمختلف مجالاتها، وفيها الجانب الاجتماعي، الذي مبناه على العلاقات الإنسانية بين الأفراد، إضافة إلى التكوين القيمي لتكامل الشخصية المتوازنة في المجتمع البشري، وإن طبيعة النفس البشرية أن يعتريها النقص والقصور في التكوين البشري أو في العلاقات مع الآخرين، من خلال صفات، أو هفوات، وأخطاء تظهر عبر المواقف والأحوال الحياتية، وتتطلّب هذه أساليب وطرائق مناسبة لتعديلها ومعالجتها.

وإننا مأمورون باقتفاء سيرة النبي ﷺ والاتصاف بأخلاقه عمومًا؛ قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١]. والاقتفاء بها في جانب متابعة معالم رحمته في الدعوة إلى التربية والتعليم. ولما كانت مواقف الخطأ تشكّل أصعب المواقف التي يقابلها المربون، وتحتاج إلى مزيد من الصفات الذاتية من السياسة في ثبات العلاقات الإنسانية الجيدة، ومن ضوابط شرعية وآداب مرعية؛ كان لزامًا على الدعاة والمربين أن يتعلموا ذلك من سيرة المصطفى

ﷺ وتعاملاته مع المخطئين من حوله من الصحابة وغيرهم؛ لذا تبقى حاجة البشر إلى معرفة منهجية تأصيلية شريعة في إقامة العلاقات الإنسانية التواصلية القائمة على الإحسان والرحمة لمرتكبي الأخطاء (المخطئين).

أسئلة البحث:

في إطار مشكلة البحث السابقة، فإن هذا البحث يحاول الإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما مدى أثر ممارسة الرحمة وبذل الإحسان في معالجة أخطاء المخطئين؟

٢. ما أبرز صفات الراحم المطلوبة عند معالجة أخطاء المخطئين؟

٣. ما أهم أساليب الرحمة التي ينبغي أن يسلكها من يعالج أخطاء المخطئين؟

هدف البحث:

يهدف البحث إلى وضع استراتيجية تواصلية في العلاقات الإنسانية قائمة على مبدأ الرحمة، وبذل أوجه الإحسان في معالجة الأخطاء، وفق سيرة النبي الكريم ﷺ؛ تصحيحًا للخطأ، وبناء للثقة في المنهج، وتثبيتًا على الحق، وتألفًا للقلوب، واستثمارًا لذلك في الدعوة إلى الله سبحانه.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من أهمية موضوع الرحمة؛ لتعلقه بإبراز صفة عظيمة من صفات النبي الكريم ﷺ في دعوته وتبليغ الرسالة، وأهمية الإسهام في دراسة جزء من سيرة النبي ﷺ وتلمّس هداياته، وأوجه إحسانه بالرحمة عند التعامل مع المخطئين، والحاجة إلى إشاعة خُلق الرحمة، وأساليب التعامل مع المخطئين عند القيام بعملية التربية، أو

دعوة الناس إلى الإسلام، كما تنبع أهمية البحث من أهمية إبراز الصورة الزاهية الراقية للنبي محمد ﷺ من خلال رحمته بالمخطئين على اختلاف أنواعهم، والرد على مزاعم من اتهم الرسول ﷺ أو انتقص من قدره.

حدود البحث:

يقتصر البحث على إيراد أوجه الإحسان في رحمة النبي ﷺ بمعالجة أخطاء المخطئين خصوصًا، دون أوجه رحمته الأخرى، من خلال اختيار نماذج مما ورد من السنة النبوية الصحيحة.

مصطلحات البحث:

يُستخدم في هذه البحث بعض المصطلحات؛ مما يتطلّب تقديم تعريفات لها، وهي كالتالي:

أولًا: الرحمة:

أ. التعريف اللغوي: قال ابن فارس:» الراء، والحاء، والميم: أصل واحد، يدلّ على الرقة، والعطف، والرأفة»[١]. وذكر الزمخشري في أساس البلاغة:«واسترحمته: استعطفته، وتراحموا: تعاطفوا، والمؤمنون متراحمون»[٢].

ب. التعريف الاصطلاحي: ذكر الجرجاني أنها «إرادة إيصال الخير»[٣]، وأضاف الراغب الأصفهاني دلالة اقتضاء في التعريف فقال: إنها «رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم»[٤].

وممن عرّف الرحمة النيسابوري في تفسيره فقال: «ترك عقوبة من

(١) معجم مقاييس اللغة:» مادة: رحم».
(٢) أساس البلاغة: مادة «رحم».
(٣) التعريفات، (١٤٦).
(٤) المفردات، (١٩١).

يستحقها، أو إرادة الخير لأهله، وأصله: الرقة والتعطف، ومنها الرحم؛ لرقتها وانعطافها على ما فيها»[١].

وهي صفة كمال كما يحدّد ذلك ابن القيم؛ إذ يقول: أما «رقة القلب فإنها ناشئة عن صفة الرحمة، التي هي كمال»[٢]. ويُعرّفها موسى العسيري في إضافتها إلى المخلوق بأنها: «رِقّة يجدها المخلوق في قلبه، تحمله على العطف والإحسان إلى سواه، ومواساته، وتخفيف آلامه»[٣].

ويمكن أن نعرّفها إجرائيًّا بأنها: صفة ذاتية قلبية فطرية ومكتسبة؛ تقتضي إحسان وتفضّل نفسي، أو قولي، أو فعلي للغير».

وقد وردت كلمة الرحمة بمشتقاتها في القرآن الكريم (٣١٥) مرة. والرحمة صفة من صفات الله ﷻ أوجبها على نفسه؛ قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]. وقال القرطبي «أي: أوجب ذلك بخبره الصدق؛ ووعده الحق، فخُوطب العباد على ما يعرفون من أنه من كتب شيئًا فقد أوجبه على نفسه»[٤].

كما أن الآية تأتي مبشّرة للمؤمنين بكل خير وسعادة، ذكر أبو حيان: «وهذه الجملة مأمور بقولها تبشيرًا لهم؛ لسعة رحمة الله، وتفريحًا لقلوبهم... فهذه تبشيرًا بعموم الرحمة»[٥]، وترتبط رحمة الله ﷻ بشريعته من حيث غاياتها وبنائها، قال ابن القيم: «فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه»[٦]. ويذكر ابن سعدي أن «الشريعة كلها مبنية على الرحمة في أصولها وفروعها...»[٧]. وفي السياق التربوي البشري ترتبط الرحمة

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (٧٥/١).
(٢) الروح، (٣٧٢).
(٣) الرحمة في القرآن الكريم، (٢٢).
(٤) الجامع لأحكام القرآن، (٤٣٥/٦).
(٥) البحر المحيط، (٥٢٨/٤).
(٦) إعلام الموقعين، (١٤/٣).
(٧) الرياض الناظرة – المجموعة الكاملة، (٤٠٦/١-٤٠٨).

بإقامة العلاقات الاجتماعية الإنسانية بصورة قوية، ويبرر د. النغيمشي ذلك بقوله:» والرحمة من الخصال الوثيقة بالتفاعل التربوي؛ لما فيها من المشاركة الوجدانية؛ والإحساس بالطرف الآخر، وتقدير حاله»[1].

ثانيًا: الخطأ:

أ. التعريف اللغوي: قال ابن فارس (مادة/ خطو أ): «الخاء، والطاء، والحرف المعتل والمهموز يدلّ على تعدي الشيء والذهاب عنه، والخطأ من هذا؛ لأنه مجاوزة حدّ الصواب يُقال: أخطأ: إذا تعدّى الصواب...وخطئ يخطأ: إذا: أذنب، وهو قياس الباب»[2]. وذكر الفيروزآبادي (مادة: خطأ): «والخطأ: ضد الصواب... ومالم يُتعمد، وأخطأ: سلك سبيل الخطأ عامدًا أو غيره»[3].

ب. التعريف الاصطلاحي: قال الجرجاني: «الخطأ: هو ما ليس للإنسان فيه قصد، وهو عذر صالح لسقوط حق الله – تعالى– إذا حصل عن اجتهاد، ويصير شبهة في العقوبة حتى لا يؤثم الخاطئ، ولا يُؤاخذ بحدٍّ ولا قصاص»[4]. وذكر الراغب: «الخطأ: العدول عن الجهة...»، ثم ذكر أنه على ثلاثة أضرب، «أحدها: أن يريد غير ما تحسن إرادته فيفعله، وهذا هو الخطأ التام المأخوذ به الإنسان... والثاني: أن يريد ما يحسُنُ فعله؛ ولكن يقع منه خلاف ما يريد... والثالث: أن يريد ما لا يحسُن فعله، ويَتفِقَ منه خلافه»[5]. وعرّف أحمد أوزي الخطأ بأنه:» ترجمة لمعرفة ناقصة، وتعبير عن سوء فهم، أو عدم انتباه، أو خلل في سيرورة التعليم والتعلم. كما

(١) المراهقون، (٢٩٩).
(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة: (خطو أ)، ٣٢٢.
(٣) القاموس المحيط (مادة: خطأ)، ٤٩.
(٤) التعريفات، (١٣٤).
(٥) المفردات، (١٥١).

أنه انعكاس لاضطراب أو لا توازن معرفي يخلق لصاحبه توترًا ذهنيًّا»[١]. وذكر حسين الجبوري أنه: «كل ما يصدر عن المكلف من قول أو فعل، خالٍ عن إراداته، وغير مقترن بقصد منه»[٢]. وإذا كان الخطأ خلافَ الصواب ومضاده؛ فإن الكفر خلافه الإسلام؛ بل إن أعلى حالات الخطأ: الكفر على ذلك الاعتبار؛ لأن الإسلام صواب، والكفر خطأ، وضلال، وانحراف.

ثالثًا: الإحسان:

أ. التعريف اللغوي: قال ابن فارس: «الحاء، والسين، والنون: أصل واحد، فالحسن: ضد القبح، يُقال: رجل حسن، وامرأة حسناء»... والمحاسن من الإنسان وغيره: ضد المساوئ[٣]. وقد ذكر الفيروزآبادي «بالضم: الجمالُ... والإحسان: ضد الإساءة..»[٤]. وذكر الزمخشري في أساس البلاغة: «وحَسَن الحلاق رأسه: زيَنَهُ»[٥].

ب. التعريف الاصطلاحي: قال الجرجاني: «الحَسَن: هو كون الشيء ملائمًا للطبع، كالفرح وهو ما يكون متعلق المدح في العاجل، والثواب في الآجل»[٦]. وذكر الراغب في المفردات: «الحُسنُ: عبارة عن كل الإنعام على الغير، يُقال: أحسن إلى فلان..». كما ذكر أن الإحسان «زائد على العدل؛ فتحريه ندب وتطوع..»[٧].

الدراسات السابقة:

تناولت دراسة د. عادل إسماعيل (٢٠١٤م)، بعنوان: «خصائص الرحمة

(١) المعجم الموسوعي لعلوم التربية، (١٣٢-١٣٣).
(٢) عوارض الأهلية عند الأصوليين، (٣٩٦).
(٣) معجم مقاييس اللغة، (مادة: حسن).
(٤) القاموس المحيط، (مادة: الحسن).
(٥) أساس البلاغة، (مادة: حسن).
(٦) التعريفات، (١١٧).
(٧) المفردات، (١١٨-١١٩).

عند النبي محمد ﷺ» ألوانًا من رحمة الرسول ﷺ للإنسان، والحيوان، والجماد، والنبات، من خلال استعراض نصوص شرعية من القرآن والسُّنّة في ذلك، وفصّل في كل جانب خاصة رحمته بالإنسان من خلال علاقاته وتعاملاته مع من حوله، وبذلك فقد أراد أن يكتشف عِظم هذا النبي الكريم، والردِّ على من وصفه بخلاف ذلك.

بينما تناولت دراسة د. إدريس مقبول (٢٠١٤م)، بعنوان:" الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، القواعد التخاطبية في التواصل مع الأشخاص ودعوتهم إلى الإسلام حسب الاعتبارات الموقفية والشخصية؛ سعيًا من الباحث للدعوة إلى بناء فقه تواصل نبوي. وقد خلص الباحث إلى تحديد أربع استراتيجيات في ذلك: (التضامنية، والتوجيه، والتلميحية، والحجاجية).

أما دراسة د. زياد محمد الخضير (٢٠١٣م)، بعنوان: «أبعاد أحاديث الرأفة بالعصاة وبغير المسلمين»، فقد تناولت جانب العلاقات الإنسانية من خلال النصوص النبوية، سواء مع المسلمين أو غيرهم، وقيامها على جانب العدل والرحمة وسائر الأخلاق الراقية، خاصة مع العصاة وغير المسلمين، وتأطير ذلك ضمن الحدود والأوامر الشرعية. واتبع الباحث منهج الاستقراء لبعض الأحاديث التي تناولت الموضوع ودراستها دراسة تحليلية؛ لإبراز مواضع رحمة الرسول ﷺ بالعصاة وغير المسلمين.

وركزت دراسة محمد حسام الدين خطيب (٢٠٠٧م) دمشق، بعنوان: «هل كان محمد ﷺ رحيمًا؟» على مظاهر رحمة الرسول ﷺ قبل البعثة، وبعد البعثة. وقد انطلق في بحثه من شبهة اتهام الرسول ﷺ بأنه لم يأتِ بغير السيف، وفنّد هذه الشبهة من خلال محاورته لأحد النصارى، كما أنه استعرض بعض دراسات المستشرقين في الموضوع وناقشتها في ظلِّ الواقع والحقائق، وإثبات مظاهر الرحمة في سيرته، وحياته ﷺ.

وتتشابه جميع تلك الدراسات فيما بينها في كونها تهدف إلى التعرف على جوانب الرحمة في سيرة النبيﷺ من خلال المنهج الاستقرائي بالرجوع إلى سيرة النبي الكريم ﷺ؛ وتأصيل خلق الرحمة في التعامل من خلال النصوص الشرعية، بينما تحاول هذه الدراسة رصد أحد التطبيقات العملية للرحمة من خلال عرض بعض أصناف المخطئين وإبراز أهمية تشخيص أحوالهم؛ من خلال جملة من الأحاديث النبوية التي تضمنت بعض الممارسات الخاطئة،وتحديدا للأساليب التي تعامل فيها الرسولﷺ لمعالجة تلك الأخطاء.

منهج البحث:

١. استقراء بعض المواقف من السيرة النبوية الصحيحة التي ظهرت فيها الرحمة بالمخطئين؟

٢. دراسة تلك الأحاديث والمواقف دراسة تحليلية؛ لاستخراج أوجه الإحسان في الرحمة بالمخطئين، سواء كانت أوجهًا نفسية، أو قولية، أو فعلية.

الفصل الأول
رحمة الرسول ﷺ بالمخطئين

المبحث الأول
رحمة الرسول ﷺ بالمخطئين من غير المسلمين

بُعث الرسول محمد ﷺ للناس كافة، وأُرسل رحمة للعالمين، سواء كانوا مؤمنين أم كافرين؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧]. ورجّح الطبري في تفسيره «أن هذه الرحمة تشمل المؤمنين والكافرين»(١). يقول رسول الله ﷺ: "وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى الناس عامة"(٢). وعندما قيل لرسول الله ﷺ: "ادع على المشركين، قال: "إني لم أُبعث لعانًا، وإنما بُعثت رحمة"(٣).

ومن دلائل رحمته ﷺ بمعالجة المخطئين من غير المسلمين ما يلي:

١. يروي جابر بن عبدالله، قال: «قاتل النبي ﷺ محارب خصفة بنخل، فرأوا من المسلمين غرة، فجاء رجل منهم يُقال له: غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، فقال: من يمنعك مني؟ قال: "الله"، قال: فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله ﷺ السيف، فقال له: " من يمنعك مني؟ "، قال: كن خير

(١) تفسير الطبري، (٩٩/٩).
(٢) أخرجه البخاري: في كتاب التيمم، (٣٢٨).
(٣) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، (٢٥٩٩).

آخذ، قال: "تشهد أن لا إله إلا الله"، قال: لا؛ ولكني أعاهدك ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، قال: فخلى سبيله، فجاء إلى أصحابه، فقال: "جئتكم من عند خير الناس"[١].

ومن أوجه إحسان النبي ﷺ في رحمته بغورث بن الحارث، ما يلي:

- أن النبي ﷺ رحِمه فلم يعاقبه.
- أن الرسول ﷺ خلّى سبيله، وعفا عنه. قال ابن بطال: "وفيه ترك الإمام معاقبة من جفا عليه وتوعده -إن شاء- والعفو عنه إن أحب، وفيه صبر الرسول ﷺ وحلمه، وصفحه عن الجهّال"[٢].
- أن النبي ﷺ لم يكتفِ برحمته لذلك الرجل؛ بل أراد ﷺ أن يشمل إحسانه في رحمته قوم ذلك الرجل، من خلال ائتلاف قلوبهم عند علمهم بما حدث من عفو النبي الكريم عن رجل منهم؛ "وذلك لشدّة رغبة النبي ﷺ في ائتلاف الكفار ليدخلوا في الإسلام، لم يؤاخذه بما صنع؛ بل عفا عنه"[٣].

٢. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له ﷺ: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: «أطع أبا القاسم»، فأسلم؛ فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»[٤].

ومن أوجه إحسان الرسول ﷺ في رحمته بالغلام اليهودي، ما يلي:

- اهتمامه ﷺ بعيادة أهل الذمة، مع صغر سنٍّ من قام بعيادته، ومظنة قصور قدره؛ لأنه كان يخدم النبي ﷺ.

(١) أخرجه البخاري: في كتاب المغازي، (٣٩٠٥)، ومسلم في كتاب الفضائل، (٨٤٣).
(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (١٠١/٥).
(٣) شرح صحيح البخاري، للعيني، (١٩٩/١٧).
(٤) أخرجه البخاري، في كتاب الجنائز، (١٢٩٠).

- أن النبي ﷺ رحمه عندما عرض عليه السلام، "حيث عرض النبي ﷺ الإسلام على الغلام اليهودي الذي كان يخدمه"[١].
- أن النبي ﷺ حرص على أن ينجو ذلك الغلام من النار، فقال: "الحمد لله الذي أنقذه من النار". "فالصبي إذا عقل الكفر ومات عليه؛ يُعذّب، فلولا صحته ما عرضه عليه"[٢]. وفيه «دلالة على أنه صحّ إسلامه»[٣].
- أن النبي ﷺ رحم قوم الغلام، وعمل على ائتلافهم وترغيبهم في الإسلام، وهم على غير ملة الإسلام؛ "لأن فيه إظهار محاسن الإسلام، وزيادة التآلف بهم؛ ليرغبوا في الإسلام"[٤].

٣. عن سعيد بن أبي سعيد، أنه سمع أبا هريرة يقول: بعث رسول الله ﷺ خيلًا قِبَل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يُقال له ثمامة بن أثال، سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: "ما عندك يا ثمامة؟»، فقال: عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تُعط منه ما شئت. فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد، فقال: "ما عندك يا ثمامة؟ «، قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تُعط منه ما شئت. فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد، فقال: «ما عندك يا ثمامة؟»، فقال: عندي ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تُعط منه ما شئت. فقال رسول الله ﷺ: «أطلقوا ثمامة». فانطلق إلى نخل قريب من

(١) عمدة القارئ، (٨/١٧٥-١٧٦).
(٢) إرشاد الساري، (٢/ ٤٤٩).
(٣) فتح الباري، (٣/٢٢١).
(٤) عمدة القارئ، (٨/١٧٥-١٧٦).

المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك؛ فقد أصبح وجهك أحبّ الوجوه كلها إليَّ. والله، ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك؛ فأصبح دينك أحبَّ الدين كله إليَّ. والله، ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك؛ فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليَّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشّره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: لا؛ ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ[1].

ومن أوجه إحسان النبي ﷺ في رحمته بثمامة بن أثال، ما يلي:

- أن النبي ﷺ عفا عنه؛ رغم أنه جاء لقتله ﷺ قال ابن حجر: "ومن الفوائد: المنَّ على الأسير الكافر، وتعظيم أمر العفو عن المسيء"[2].
- أن النبي ﷺ أمر بإطلاق سراحه، فقال ﷺ: "أطلقوا ثمامة". قال العيني: "أمر من الإطلاق"[3].
- أن النبي ﷺ رحمه؛ بتقديم البشارة له، فقال: " فبشّره رسول الله ﷺ. قال ابن حجر " أي: بخيري الدنيا والآخرة، أو بشّره بالجنة، أو بمحو ذنوبه وتبعاته السابقة"[4].

ثم إن من آثار وثمرات إحسانه ﷺ في رحمته بثمامة، المحبة بعد البغض؛ قال ابن حجر: " لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حبًّا في ساعة واحدة؛ لما أسداه النبي ﷺ من العفو والمن بغير مقابل"[5].

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، (١٧٦٤).
(٢) فتح الباري، (٨٨/٨).
(٣) عمدة القارئ، (٢٦١/١٢).
(٤) فتح الباري، (٨٨/٨).
(٥) فتح الباري، (٨٨/٨).

وقال «وإن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب»[١]. وفي قوله «مع رسول الله ﷺ إشارة إلى الملاطفة، والارتباط، والمصاحبة". قال ابن حجر: " أي: وافقته على دينه؛ فصرنا متصاحبين في الإسلام، أنا بالابتداء، وهو بالاستدامة"[٢].

- طلب هداية قومه، قال ابن حجر: «وفيه الملاطفة بمن يُرجى إسلامه من الأسرى، إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام؛ ولاسيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه»[٣].

٤. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما توفي عبدالله بن أبيّ بن سلول، جاء ابنه عبدالله بن عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يُكفّن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يُصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: "إنما خيرني الله، فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة:٨٠]، وسأزيده على السبعين»، قال: إنه منافق، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة:٨٤][٤].

ومن أوجه إحسان النبي ﷺ في رحمته بابن عبدالله بن أبيّ بن سلول، ما يلي:

- أن النبي ﷺ استجاب له فرحمه؛ فأعطاه قميصه ليكفن فيه أباه، "فأعطاه". قال العيني: "أي أعطى النبي ﷺ قميصه عبدالله"[٥].

(١) فتح الباري، (٨٨/٨).
(٢) فتح الباري، (٨٨/٨).
(٣) فتح الباري، (٨٨/٨).
(٤) أخرجه البخاري: في كتاب التفسير، باب تفسير سورة براءة، (٤٣٩٣).
(٥) عمدة القارئ، (٢٧٣/١٨).

- أن النبي ﷺ استجاب لابن عبدالله بن أبي بالصلاة على والده، ثم سأله أن يصلي عليه. قال العيني: "ووقعت إجابته إلى سؤاله على حسب ما ظهر من حاله، إلى أن كشف الله الغطاء عن ذلك"(١).
- أن النبي ﷺ استغفر له، كما ورد في رواية القسطلاني في إرشاد الساري «(فاخترت): الاستغفار»(٢). وفي الحديث: «إنما خيرني الله». قال العيني: «أي: بين الاستغفار وتركه، (وسأزيد)، حمل النبي ﷺ عدد السبعين على حقيقته»(٣).
- أن النبي ﷺ دعا لوالد عبدالله بن عبدالله بن أبي -رحمة منه به- وذلك لأن الصلاة على الميت تتضمّن الدعاء له؛ شفقةً وتأليفًا لقلب ولده وأقوامهم. قال العيني: "وقصد النبي ﷺ الشفقة على من تعلق بطرف من الدين، والتأليف لابنه ولقومه، فاستعمل أحسن الأمرين وأفضلهم"(٤). وفي اعتراض عمر رضي الله عنه على الصلاة على عبدالله بن أبي بن سلول، وصلاة النبي ﷺ عليه، ثم نزول قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة:٨٠]، يذكر ابن بطال: «فرض على جميع المؤمنين متعين على كل واحد ألا يدعو للمشركين، ولا يُستغفر لهم إذا ماتوا على شركهم»(٥)؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة:١١٣]. ويعقّب ابن حجر على الحادثة تعقيبًا يجمع بين الأمرين، فيقول: «وإنما لم يأخذ النبي ﷺ بقوله (أي: عمر) وصلى عليه؛ إجراء له على ظاهر حكم الإسلام، كما تقدم تقريره، واستصحابًا لظاهر

(١) عمدة القارئ، (٢٧٢/١٨).
(٢) إرشاد الساري، (٤٥٨/٢)، برقم ١٣٦٧.
(٣) عمدة القارئ، (٢٧٢/١٨).
(٤) عمدة القارئ، (٢٧٣/١٨).
(٥) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (٣٥١/٣).

الحكم، ولما فيه من إكرام ولده الذي تحقق صلاحيته، ومصلحة الائتلاف لقومه، ودفع المفسدة. وكان النبي ﷺ في أول الأمر يصبر على أذى المشركين ويعفو ويصفح؛ ثم أُمر بقتال المشركين، فاستمر صفحه وعفوه عمن يظهر الإسلام ولو كان باطنه على خلاف ذلك؛ لمصلحة الائتلاف، وعدم التنفير منه"[١].

٥. عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت عليّ أمي وهي مشركة في عهد قريش؛ إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدَّتِهم مع أبيها، فاستفتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أمي قدمت عليّ وهي راغبة أفأصلها؟ قال ﷺ: "نعم، صليها".[٢]

ومن أوجه إحسان النبي ﷺ في رحمته بأم أسماء ما يلي:

- أن النبي ﷺ لم ينكر على أسماء رضي الله عنها استقبالها لأمها؛ بل رحمها وأشفق عليها، وقَدَّر لها إحساسها بالتواصل مع أمها.
- لم يمنع النبي ﷺ أم أسماء رضي الله عنها من دخول المدينة.
- أن النبي ﷺ راعى رغبة الأم وهي غير مسلمة، خاصة وأنها جاءت "راغبة" أي: مريدة ومندفعة. قال القسطلاني: "راغبة: في بري وصلتي"[٣]. ونقل العيني عن الطيبي قوله: «وإذا قرنت «قوله: راغبة» بقوله: «مشركة» أو في عهد قريش، فالمراد: راغبة في صلتي»[٤].
- أن النبي ﷺ استجاب لأسماء؛ بل وأمرها بمقابلة أمها وصلتها؛ رحمة وشفقة بهما معًا. قال العيني: "من حيث أنه ﷺ أمر فيه بصلة الوالدة المشركة، فيدخل فيه الوالد بالطريق

(١) فتح الباري، (٣٣٦/٨).
(٢) أخرجه البخاري: في كتاب أبواب الجزية والموادعة، (٣٠١٢).
(٣) إرشاد الساري، (٩/٩).
(٤) عمدة القارئ، (٨٩/٢٢).

الأولى"[١]. وذكر كذلك أنه «مما يُستفاد منه: جواز صلة الرحم الكافرة كالرحم المسلمة، وفيه مستدل لمن رأي وجوب النفقة للأب الكافر، والأم الكافرة على الولد المسلم، وفيه موادعة أهل الحرب، ومعاملتهم في زمن الهدنة»[٢].

- ومن آثار إحسانه ﷺ في رحمته بأم أسماء، رغبته في تأليف قلبها على الإسلام، قال ابن بطال: " وكان التأليف على الإسلام حينئذ مباحًا... وكذلك فعلت أسماء في أمها"[٣].

٦. عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة: ففهمتها؛ فقلت: وعليكم السام واللعنة. قالت: فقال رسول الله ﷺ:"مهلًا يا عائشة! إن الله يحب الرفق في الأمر كله»، فقلت: يا رسول الله، أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: "قد قلت: وعليكم»[٤].

ومن أوجه إحسان النبي ﷺ في رحمته برهط اليهود الذين أساؤوا الأدب معه ﷺ:

- أن النبي ﷺ أشفق عليهم ورحمهم؛ فلم يغضب أو ينفعل؛ وإنما طلب من عائشة رضي الله عنها ألا تغلظ عليهم؛ بل تترفق. قال العيني: " قوله: (مهلًا) معناه: تأني وارفقي"[٥].

- أن النبي ﷺ أشفق عليهم ورحمهم، من خلال نهيه عن العنف والفحش، واختيار سبيل الرفق. ذكر العيني: "وإنما اختار هذه الصيغة؛ ليكون أبعد عن الإيحاش، وأقرب إلى الرفق"[٦].

(١) عمدة القارئ، (٢٢/٨٩).
(٢) عمدة القارئ، (١٣/١٧٤).
(٣) شرح صحيح البخاري، (٧/١٣٦)، لابن بطال.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، (٥٦٧٨).
(٥) عمدة القارئ، (٢٢/١١٣).
(٦) عمدة القارئ، (٢٢/١١٤).

- أن النبي ﷺ رحمهم، من خلال تقرير ما بهم من جهل، وأشفق عليهم من مقابلة جهلهم وسوء أدبهم بمثله، وفي ذلك تعليم للأمة ورحمة بها بالتعريف بهذا الأدب العظيم. قال ابن بطال: "في هذا الحديث أدب عظيم من آداب الإسلام، وخصَّ الرفق بالجاهل والصفح والإغضاء عنه؛ لأن الرسول ﷺ ترك مقابلة اليهود بمثل قولهم؛ ونهى عائشة من الإغلاظ في ردها، وقال: "مهلًا يا عائشة، إن الله يحب الرفق في جميع الأمور"[1].

ومن آثار رحمة الرسول ﷺ وإحسانه باليهود، ما أراده ﷺ من إعطاء صورة القدوة الصالحة في التعامل مع المخطئين للأمة؛ صبرًا وطلبًا لهدايتهم، ورغبة في كسب الأجر والثواب، قال ابن بطال: "والصبر أخلاق النبيين والصالحين؛ فيجب امتثال طريقهم، والتأسي بهم، وقرع النفس المغالبة رجاء ثواب الله على ذلك"[2].

ونخلص مما مضى من مواقف الرسول ﷺ مع غير المسلمين؛ تبيين عظمة رحمته ﷺ وتنوع أوجه إحسانه عليهم، ومن معالم ذلك:

- لم يعاقب ﷺ المخطئ منهم، ولم يغلظ عليه؛ بل قابل الإساءة والخطأ بالشفقة واللين.
- حَرِص ﷺ على الترفق والعفو عنهم، ولم يحمله ما فيه من قوة وسلطة على مقابلة إساءتهم بمثلها.
- اهتمامه ﷺ بالتواصل معهم بالزيارة أو السؤال؛ تأليفًا لقلوبهم، وحرصًا في ترغيبهم بالدخول في الإسلام، والعتق من العذاب.
- تقديم البشارة لمن رغب بالإسلام، ودخل في الملة، وفي ذلك مراعاة للحالة النفسية للآخرين.

(١) شرح صحيح البخاري، (٩/٢٢٦)، لابن بطال.
(٢) شرح صحيح البخاري، (٩/٢٢٦)، لابن بطال.

- تقديم الهدية لهم؛ رغبة في ائتلاف قلوبهم، وترغيبهم في الإسلام، وكسبًا لأفئدتهم.
- ميل الرسول ﷺ إلى كل ما فيه؛ رحمة بهم وشفقة عليهم من دعاء أو استغفار.
- ظهور رحمة الرسول ﷺ من خلال ربط الابن المؤمن بأبيه غير المسلم، والبنت المسلمة بوالدتها غير المسلمة؛ مراعاة للحالة النفسية للوالدين، ومراعاة للنسب وعاطفة الأبوة والأمومة.

المبحث الثاني
رحمة الرسول ﷺ بالمخطئين من المسلمين

بيّن الله ﷻ في كتابه الكريم أن كل ابن آدم خطّاء؛ قال تعالى: ﴿يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ولا يُعصم من ذلك إلا الأنبياء والرسل في تبليغ الرسالة، كما قرر الرسول الكريم ذلك، فقال ﷺ: (كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)(١). وقال ﷺ: "تجاوز الله عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما اُستكرهوا عليه»(٢).

والخطأ صفة متعلقة بالبشر من غير الأنبياء والرسل؛ لا يسلم منه أحد، ولا ينجو منه البشر، قال ابن تيمية: «ليس من شرط أولياء الله المتقين ألا يكونوا مخطئين في بعض الأشياء خطأً مغفورًا لهم؛ بل ليس من شرطهم ترك الصغائر مطلقًا؛ بل ليس من شرطهم ترك الكبائر، أو الكفر الذي

(١) أخرجه الترمذي، (٢٤٩٩)، وابن ماجة، (٤٢٥١)، وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (٣١٣٩).
(٢) ابن ماجة، (٦٥٩/١)، والدارقطني، (١٧٠/٤)، وقال ابن حجر في ظ، (١٦١/٥): ورجاله ثقات.

تعقبه توبة»[1]. وذكر ابن القيم: «وكيف يُعصم من الخطأ من خُلق ظلومًا؛ ولكن من عُدّت غلطاته؛ أقرب إلى الصواب ممن عُدّت إصاباته»[2].

وقد كان النبي ﷺ رحيمًا في تعامله مع ما يصدر من أخطاء من الصحابة؛ بما يحقّق المصلحة العامة والخاصة، سواء أكان المخطئ عالمًا أم جاهلًا، وفي كلا الحالين كان للنبي ﷺ منهج دقيق في التعامل مع الأخطاء ومعالجتها بما يراعي الحالات المختلفة.

ويمكن أن تقسيم هذا المبحث إلى قسمين:

المطلب الأول
رحمة النبي ﷺ في معالجة المخطئين من العالمين

١. عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «أقبل رجل بناضحين، وقد جنح الليل، فوافق معاذًا يصلي، فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ، فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل، وبلغه أن معاذًا نال منه، فأتى النبي ﷺ فشكا إليه معاذًا، فقال النبي ﷺ: "يا معاذ، أفتان أنت؟! أو أفاتن؟! -ثلاث مرار- فلولا صليت بسبّح اسم ربك، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، فإنه يصلي وراءك الكبير، والضعيف، وذو الحاجة"[3].

ومن أوجه إحسانه ﷺ في رحمته بمعاذ رضي الله عنه عندما أطال في قراءته على المأمومين:

- أن النبي ﷺ رحمه، وأحسن إليه بألا يكون سببًا في تنفير الناس عن صلاة الجماعة. قال القسطلاني: "قوله: (يا معاذ، أفتان

(١) مجموع الفتاوي، (١١/٦٦-٦٧).
(٢) مدارج السالكين، (٣/٥٢٢).
(٣) أخرجه البخاري: في كتاب الجماعة والإمامة، (٦٧٣).

أنت؟!). قال ذلك ثلاثًا: أي: منفر عن الجماعة، والهمزة للاستفهام الإنكاري"[1]. فإن ظروف الناس تختلف، وحاجاتهم تتنوع، وقد يتسبب التطويل في القراءة فوات بعض مصالحهم الحياتية؛ فأورد النبي ﷺ الخطاب بهمزة الاستفهام الإنكارية. قال العيني: "أفتان أنت؟ بهمزة الاستفهام على سبيل الإنكار، ومعناه: أنت منفر؛ لأن التطويل سبب لخروجهم من الصلاة، وللتكَرُّه للصلاة في الجماعة"[2].

- أن النبي ﷺ رحمه بالإحسان إليه وإلى الأمة جميعًا، خاصة من يؤم الناس في الصلاة بالتخفيف وعدم التطويل بالقراءة. قال العيني: "ومما يُستفاد منه: استحباب تخفيف الصلاة؛ مراعاة لحال المأمومين"[3].
- أن النبي ﷺ رحمه بالإحسان إليه، فلم يعاقبه أو يُبعده عن الإمامة؛ إنما عاتبه وبيّن له أن في التطويل افتتان لبعض الناس، فكان معاذ رضي الله عنه سببًا في هذا الهدي يُؤجر عليه إلى قيام الساعة. ذكر النووي عن ذلك، قوله: "(أفتان أنت يا معاذ؟!) أي: منفر عن الدين، وصادّ عنه، ففيه الإنكار على من ارتكب ما يُنهى عنه؛ وإن كان مكروهًا غير محرم، وفيه جواز الاكتفاء في التعزير بالكلام، وفيه الأمر بتخفيف الصلاة، والتعزير على إطالتها إذا لم يرض المأمومون"[4].

٢. موقف الصحابي حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه الذي أرسل رسالة إلى مشركي مكة يخبرهم أن رسول الله ﷺ قد جهّز جيشًا لفتحها، فقال

(١) إرشاد الساري، (٦٧/٩).
(٢) عمدة القارئ، (٢٣٨/٥).
(٣) عمدة القارئ، (٢٤٠/٥).
(٤) شرح صحيح مسلم، (١٨٢/٤).

رسول الله ﷺ: "يا حاطب، ما هذا؟». قال حاطب: لا تعجل عليّ يا رسول الله، إني كنت امرأ ملصقًا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال النبي ﷺ: صدق. فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال ﷺ: "إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم"[(١)].

ومن أوجه إحسان النبي ﷺ في رحمته بحاطب رضي الله عنه:

- أن النبي ﷺ نهى عمر رضي الله عنه عندما طلب ضرب عنق حاطب رضي الله عنه بالشهادة له بالفضل؛ لأنه شهد بدرًا. قال ابن حجر: "وفي رواية الحارث: " أوليس قد شهد بدرًا؟ وهو استفهام تقرير"[(٢)].
- أن النبي ﷺ خاطب حاطبًا رضي الله عنه خطابًا يدلّ على التشريف والتكريم والتقدير، فقال: "اعملوا ما شئتم". قال القسطلاني: "(فقال) - تعالى- مخاطبًا لهم خطاب تشريف وإكرام: (اعملوا ما شئتم)"[(٣)].
- أن النبي ﷺ شهد له بمغفرة الذنوب، عند قوله: (قد غفرت لكم). قال ابن حجر: "إن المراد: أن ذنوبهم تقع مغفورة"[(٤)]؛ بل والمبالغة في الغفران. ذكر القسطلاني: «عبر عن الآتي بالواقع؛ مبالغة في تحقيقه»[(٥)].

(١) أخرجه مسلم: في كتاب فضائل الصحابة، (٢٤٩٤).
(٢) فتح الباري، (٣٠٩/١٢).
(٣) إرشاد الساري، (١٤٢/٥).
(٤) فتح الباري، (٣٠٩/١٢).
(٥) إرشاد الساري، (١٤٢/٥).

ونقل النووي الإجماع على مغفرة ذنوبه مع أهل بدر "قال العلماء: معناه: الغفران لهم في الآخرة؛ وإلا فإن توجه على أحد منهم حدّ أو غيره؛ أُقيم عليه في الدنيا"[١]. وعقّب العيني على خطأ حاطب ﷺ وعفو الرسول ﷺ عنه بقوله: " وكان ذلك من فعله هفوة وزلة من غير أن يكون لها أخوات، يجوز العفو عنه، كما فعل رسول الله ﷺ بحاطب من عفوه عن جرمه بعدما اطلع عليه من فعله"[٢].

٣. عن أبي حميد الساعدي ﷺ قال: استعمل النبي ﷺ رجلًا من الأزد يُقال له: ابن اللتبية، على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أُهدي لي. قال: " فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه، فينظر يهدى له أم لا، والذي نفسي بيده، لا يأخذ أحد منه شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيرًا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ثم رفع بيده حتى رأينا عفرة إبطيه: " اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت" ثلاثًا[٣].

ومن أوجه إحسان النبي ﷺ في رحمته عند معالجة خطأ ابن اللتبية ﷺ ما يلي:

- أن النبي ﷺ كان حازمًا في التعامل مع خطأ من أُؤتمن على أموال المسلمين، ووكل إليه متابعة تحصيل الصدقة، وهي شعيرة من شعائر الدين؛ لئلا يبوء بالإثم من خلال أخذ الرشوة على العمل، قال النووي: "في هذا الحديث بيان أن هدايا العمال حرام وغلول؛ لأنه خان في ولايته وأمانته، وقد بيّن ﷺ السبب في تحريم الهدية، وأنها بسبب الولاية، بخلاف الهدية لغير العامل؛ فإنها مستحبة"[٤].

(١) شرح صحيح مسلم، (١٦/٥٦).
(٢) عمدة القاري، (١٤/٢٥٧).
(٣) أخرجه البخاري: في كتاب الهبة وفضلها، (٢٤٥٧).
(٤) شرح النووي، (١٢/٢١٩).

- أن النبي ﷺ عمل على وضع منهج محاسبي؛ لمتابعة من كُلّف بمسؤولية عامة؛ لكي يسعى المؤتمن إلى مراجعة نفسه، وتصحيح ما قد يتعلق بذمته من حقوق عامة. قال العيني: "وفيه من الفقه جواز محاسبة المؤتمن، وأن المحاسبة تصحح أمانته"[١].
- أن النبي ﷺ كان حريصًا على تحديد ما قد يراه من أخطاء في المجتمع، وبيّن أثر ذلك وضرره؛ أمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، وإشاعة تلك الشعيرة بين الناس. ذكر ابن بطال: " وفيه أيضًا أن العالم إذا رأى متأولًا أخطأ في تأويله، يعمّ الناس ضرره؛ أن يعلّم الناس كافة بموضع خطئه، ويعرّفهم بالحجة القاطعة لتأويلة، وفيه توبيخ المخطئ، وتقديم الأدنون إلى الإمارة، والأمانة، والعمل"[٢].

٤. عن ابن عباس، قال: مرّ النبي ﷺ بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يُعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين، فغرز في كل قبر واحدة، قالوا: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال ﷺ: «لعله يخفّف عنهما ما لم ييبسا»[٣].

ومن أوجه إحسان النبي ﷺ في رحمته عند معالجة خطأ صاحبي القبرين، ما يلي:

- أن النبي ﷺ رحم صاحبي القبرين؛ فأحسن إليهما من خلال توقّفه عند قبريهما، وإحساسه بالرحمة تجاههما؛ لأنهما يعذبان، فلم تقتصر رحمته ﷺ بالأحياء؛ بل امتدت رحمته بالإحسان إلى مرتكبي الأخطاء من الأموات.

(١) عمدة القاري، (١٥/٩).
(٢) شرح ابن بطال، (٥٥٧/٣).
(٣) أخرجه البخاري: في كتاب الوضوء، (٢١٣).

- أن النبي ﷺ أحسن إليهما بالدعاء لهما؛ للتخفيف مما يعانيانه من العذاب. قال ابن حجر عن الخطابي: "هو محمول على أنه دعا لهما بالتخفيف مدة بقاء النداوة، لا أن في الجريدة معنى يخُصّه، ولا أن في الرطب معنى ليس في اليابس"(١).
- أن النبي ﷺ رحمهما، من خلال الإحسان إليهما بسؤاله الشفاعة لهما بالتهوين من العذاب في القبر؛ بسبب عدم الاستتار من البول، أو من السعي بالنميمة بين الناس؛ فقد نقل النووي الإجماع على ذلك" قال العلماء: هو محمول على أنه ﷺ سأل الشفاعة لهما؛ فأجيبت شفاعته بالتخفيف عنهما إلى أن ييبسا. وقيل: يُحتمل أنه ﷺ يدعو لهما تلك المدة، وقيل: لكونهما يسبحان الله ما دامتا رطبتين"(٢).
- أن النبي ﷺ رحمهما؛ من خلال الإحسان إليهما عندما أخذ جريدة رطبة، فشقها نصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة؛ تبركًا بأثره ﷺ. قال العيني: (لعله أن يخفف عنهما): ذلك من ناحية التبرك بأثر النبي ﷺ"(٣).

٥. عن أبي مسعود الأنصاري، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني والله لأتأخر عن صلاة الغداة؛ من أجل فلان مما يطيل بنا فيها، قال: فما رأيت النبي ﷺ قط أشد غضبًا في موعظة منه يومئذ، ثم قال: يا أيها الناس، إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليوجز، فإن فيهم الكبير، والضعيف، وذا الحاجة"(٤).

(١) فتح الباري، (٣٢٠/١).
(٢) شرح مسلم، (٢٠٢/٣).
(٣) عمدة القارئ، (١١٧/٣).
(٤) أخرجه البخاري: في كتاب الجماعة والإمامة، (٦٧٠).

ومن أوجه إحسان النبي ﷺ في رحمته بمن صلى بالناس فطوّل عليهم بالقراءة؛ ما يلي:

- أن النبي ﷺ كان رحيمًا بإمام الناس في الصلاة؛ لئلا يكون سببًا في تنفيرهم عن الصلاة والتأخر عنها؛ لأجل فوات بعض المصالح.
- أن النبي ﷺ كان رحيمًا محسنًا بالإمام ومن خلفه من المسلمين، من خلال موقفه الحازم والقوي في تعليمهم تعظيم شعائر الله ﷻ والمبادرة من المسؤولين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ذكر ابن بطال ضرورة "الغضب والشدة في أمر الله؛ وذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأجمعت الأمة على ذلك فرض على الأئمة والأمراء أن يقوموا به"[1].
- أن النبي ﷺ كان رحيمًا بإمام الناس بالصلاة، محسنًا إليه في مقابلة خطئه من خلال أسلوب التكرم والتلطف والتعميم في الخطاب، دون التعيير الذي يُحرج المخطئ أمام الناس. قال العيني: "(وإن منكم منفرين)، فإن قلت: كان المقتضى أن يخاطب المعلول، قلت: إنما خاطب الكل، ولم يعيّن المعلول؛ كرمًا ولطفًا عليه، وكانت هذه عادته؛ حيث ما كان يخصص العتاب والتأديب بمن يستحقه؛ حتى لا يحصل له الخجل ونحوه على رؤوس الأشهاد»[2].
- أن النبي ﷺ كان رحيمًا محسنًا في هذا الموقف لعامة الناس؛ حيث أدرك أن إطالة الصلاة تشق على فئام من الناس؛ بسبب ضعفهم، أو كبر أعمارهم، أو مرضهم، أو انشغالهم بحوائج

(١) شرح ابن بطال، (٩/٢٩٣).
(٢) عمدة القارئ، (٢/١٠٦).

وأعمال وحاجات دنيوية، فأراد ﷺ أن يرحم عموم المسلمين؛ بل وأن يقرّر ذلك في المجتمع المسلم؛ لكي يكون هناك توازن، وترابط، وتلاحم بين أفراد المجتمع المسلم. قال ابن بطال: " وينبغي للأئمة التخفيف، مع إكمال الركوع والسجود"[١].

٦. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: "ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت. فقال النبي ﷺ: "لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد"[٢].

ومن أوجه إحسان النبي ﷺ في رحمته بالصحابية زينب بنت حجش رضي الله عنها ما يلي:

- أن النبي ﷺ رحمها؛ فأحسن إليها بألا تُحمّل نفسها ما لا تطيق في العبادة، أو تتكلف في العبادة، كما قال تعالى: ﴿يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]؛ بل المبادرة في إزالة ما يؤدي إلى ذلك؛ أمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، قال النبي ﷺ: (لا، حلوه). قال ابن حجر: "وفيه إزالة المنكر باليد"[٣].
- أن النبي ﷺ رحم زينب رضي الله عنها وأحسن إليها من خلال إشفاقه عليها من التعب والنصب، ووضع لها وللأمة المسلمة الإطار المناسب في العبادة، والميزان الصحيح لأدائها؛ بما يحقّق العبادة الصحيحة، ولا يورث آثارًا سلبية على المتعبد. ذكر ابن حجر: " وفيه الحثّ على الاقتصاد في العبادة، والنهي عن التعمق فيها، والأمر بالإقبال عليها بنشاط"[٤].

(١) شرح ابن بطال، (٣٣٤/٩).
(٢) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، (١٠٩٩).
(٣) فتح الباري، (٧٣/٣).
(٤) فتح الباري، (٧٣/٣).

- أن النبي ﷺ رحم زينب رضي الله عنها فأحسن إليها فأمرها بالراحة، وعدم إرهاق النفس بالعبادة، قال: (فإذا فتر فليقعد). قال العيني: "وفيه: أنه إذا فتر في الصلاة؛ يقعد حتى يذهب عنه الفتور"[1].

ومن خلال ما سبق، يتبيّن بعض معالم رحمة الرسول ﷺ وإحسانه بالمسلمين، كما يلي:

- عنايته ﷺ بمصالح الأمة، وتقدير حاجات الناس.
- تقدير أصحاب الفضل، وإنزالهم منازلهم، وتشريفهم وتكريمهم.
- الحزم والجدية في تعظيم شعائر الله سبحانه.
- تقدير شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- الدعوة إلى التوازن في العبادة، وعدم إجهاد النفس أو تحميلها فوق طاقتها.

المطلب الثاني
رحمة النبي ﷺ في معالجة المخطئين من الجاهلين

١. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلًا بال في المسجد، ورسول الله ﷺ وأصحابه فيه، فقالوا: مه مه، فقال نبي الله ﷺ: «دعوه لا تزرموه»، فلما فرغ دعاه، فقال: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا القذر؛ إنما هي لذكر الله والصلاة»، ثم أمر النبي ﷺ بدلو من ماء فشنه عليه شنًّا وتركوه»[2].

ومن أوجه إحسان النبي ﷺ في رحمته بمن بال في المسجد، ما يلي:

(١) عمدة القارئ، (٢٠٩/٧).
(٢) أخرجه مسلم: في كتاب الطهارة، (٢٨٥).

- أن النبي ﷺ رحمه، وأحسن إليه بعدم معاقبته، أو الإغلاظ عليه بالقول؛ بل إنه خطّأ من انفعل عليه من الصحابة، قال ﷺ: " لا تزرموه". قال العيني: "أي: لا تقطعوا عليه بوله". وذكر من فوائد الحديث "مراعاة التيسير على الجاهل، والتأليف لقلبه"(١). وذكر ان بطال: «وأمر ألا يُهاج حتى يفرغ من بوله؛ تأنيسًا له، ورفقًا به، فدلّ ذلك على استعمال الرفق بالجاهل -فإنه بخلاف العالم- وترك اللوم له، والتثريب عليه»(٢).
- أن النبي ﷺ رحمه وأحسن إليه؛ بأن طلب من الصحابة تركه حتى ينتهي مما هو فيه، قال ﷺ: "دعوه" لئلا يضر بنفسه بقطع البول، أو أن يلحق الضرر والنجاسة بنفسه أو بالمسجد". قال القسطلاني: (دعوه): أي أتركوه يبول في موضعه؛ لأنه لو قطع عليه بوله لتضرر، ولو أقاموه في أثنائه؛ لتنجست ثيابه وبدنه، ومواضع كثيرة في المسجد"(٣).
- أن النبي ﷺ رحمه وأحسن إليه بأن "دعاه فقال له: إن هذه...". وفي ذلك مراعاة لحالته النفسية، وردًّا لانفعالاته السلبية، وتقديرًا لإنسانيته، وعدم زيادة حرجه أمام الناس. قال ابن حجر: " وفي الحديث رأفة النبي ﷺ وحسن خلقه"(٤).
- أن النبي ﷺ رحمه وأحسن إليه بأن علّمه بنفسه بالحسنى، ولم يوكل تعليمه لأحد آخر، وفي ذلك تواضع وخلق عظيم، فقال له: " إن هذه المساجد لا تصلح...". وحدد ﷺ الآداب التي ينبغي أن يتمثلها المسلم في المسجد. قال ابن حجر: " ومن فوائد الحديث:

(١) عمدة القارئ، (١٢٥/٣).
(٢) شرح ابن بطال، (٢٢٦/٩).
(٣) إرشاد الساري، (٧٦/٩-٧٧) برقم ٦١٢٦.
(٤) فتح الباري، (٣٢٥/١).

الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف، إذا لم يكن ذلك منه عنادًا، ولا سيما إذا كان ممن يحتاج إلى ائتلافه"[1].

٢. عن أنس بن مالك ﷺ قال: " كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي؛ فجبذ بردائه جبذة شديدة. قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثّرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك؟ فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء"[2].

ومن أوجه إحسان النبي ﷺ في رحمته بالأعرابي الذي جذبه جذبةً شديدة:

- أن النبي ﷺ رحمه، وأحسن إليه، فلم يعاقبه، وهو قادر على ذلك، ولم يغلظ عليه القول. قال العيني: " وفيه: لطف رسول الله ﷺ وحلمه وكرمه، وأنه لعلى خلق عظيم"[3].
- أن النبي ﷺ رحمه وأحسن إليه، بأن كانت ردّة فعله ﷺ متسامحة؛ بل في قمة التسامح، والدفع بالحسنى؛ بل إلى درجة الضحك وليس السخط (فالتفت إليه فضحك)، فكانت تعابير وجهه وتهلله لها أثرها في نفسية ذلك الأعرابي الجاهل، كما قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [فصلت:٣٤].
- أن النبي ﷺ رحمه، وأحسن إليه بهذا التصرف؛ تأليفًا لقلبه، كما هو إحسان للأمة للاقتداء به. قال ابن حجر: " وفي هذا الحديث بيان حلمه ﷺ وصبره على الأذى في النفس والمال، والتجاوز على جفاء من يريد تألفه على الإسلام، وليتأسى به

(١) فتح الباري، (٣٢٥/١)
(٢) أخرجه البخاري: في كتاب الخمس، (١٠٥٧).
(٣) عمدة القارئ، (٧٣/١٥).

الولاة بعده في خُلقه الجميل من الصفح والإغضاء، والدفع بالتي هي أحسن"[1].

- أن النبي ﷺ رحمه، وأحسن إليه بأن أعطاه عطاءً، فكان ﷺ بخلقه العظيم مثالاً يُحتذى، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١]. ولم يكتف رسول الله ﷺ بعدم معاقبته؛ بل اهتم به، "والتفت إليه"، ثم زاد درجة في الإحسان بأن "أمر له بعطاء"، فأي خُلق أعظم من هذا الخلق مع أعرابي جاهل، وأي إحسان أبلغ من هذا التدرج في مراحله.

٣. عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وا ثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني؛ لكني سَكَتُّ، فلما صلى رسول الله ﷺ -فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه؛ فوالله ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني- قال: "إن هذه الصلاة، لا يصلح فيها شيء من كلام الناس؛ إنما هو التسبيح، والتكبير، وقراءة القرآن"[2].

ومن أوجه إحسان النبي ﷺ في رحمته بالرجل الذي شمّت العاطس أثناء أداء الصلاة:

- أن النبي ﷺ لم يعنّفه بالقول أو بالفعل، بسبب كلامه أثناء الصلاة؛ بل رفق به وعامله بغاية اللطف والشفقة؛ إلى حدٍّ أن افتداه معاوية رضي الله عنه بأبيه وأمه، قال: "فبابي هو وأمي، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه".

(١) فتح الباري، (٥٠٦/١٠).
(٢) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (٥٣٧).

- أن النبي ﷺ رحمه، وأحسن إليه ببيان الخطأ وإيضاحه بشكل عام، دون إحراجه أمام الملأ؛ مما قد يؤثر في نفسيته، (إن هذه الصلاة لا يصلح).

- أن النبي ﷺ رحمه، وأحسن إليه بحسن تعليمه له، وللأمة المسلمة، قال النووي: "فيه بيان ما كان عليه ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله -تعالى- له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته بأمته وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه، واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه"(١).

٤. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " كان لرجل على رسول الله ﷺ حق فأغلظ له، فهمّ به أصحاب النبي ﷺ. فقال النبي ﷺ: " إن لصاحب الحق مقالاً، فقال لهم: اشتروا له سنًّا فأعطوه إياه. فقالوا: إنا لا نجد إلا سنًّا هو خير من سنه. قال: فاشتروه فأعطوه إياه؛ فإن من خيركم أو خيركم أحسنكم قضاء"(٢).

ومن أوجه إحسان النبي ﷺ في رحمته بالرجل الذي تقاضاه فأغلظ:

- أن النبي ﷺ منع الصحابة من إيذاء الرجل، أو معاقبته لمّا همّوا به، عندما أغلظ في قوله للرسول ﷺ فقال: (إن لصاحب الحق مقالاً). قال العيني: " وهذا من غاية حلمه وحسن خلقه ﷺ"(٣).

- أن النبي ﷺ بادر بإعطائه حقه، فلم يظلمه جراء إغلاظه فمنعه حقه؛ بل لم يتردد في ذلك أو يؤخر الأمر، فقال: (اشتروا له سنًّا). قال ابن حجر: " وفيه حسن خلق النبي ﷺ وعظم حلمه

(١) شرح النووي، (٢٠/٥).
(٢) أخرجه مسلم: كتاب المساقاة، (١٦٠١).
(٣) عمدة القارئ، (١٣٦/١٢).

وتواضعه، وإنصافه، وأن من عليه دين لا ينبغي عليه مجافاة صاحب الحق"[1].

- أن النبي ﷺ بالغ في الإحسان إليه وإنصافه، عندما ذكر الصحابة رضي الله عنهم أنه لا يوجد إلا أكبر من استحقاقه فقال ﷺ: (فأعطوه إياه، فإن من خيركم أو خيركم أحسنكم قضاء).

ومن خلال ما سبق، يتبيّن بعض معالم رحمة الرسول ﷺ في التعامل مع أخطاء العالمين من المسلمين، كما يلي:

- مراعاة عدم تضرر الإنسان، أو المكان، وحصر المشكلة والقضاء عليها.
- عدم إحراج المخطئ أمام الناس، والعناية بمشاعره.
- استغلال المواقف في نصح الأمة، وتعليمها.
- التسامح وعدم الانتصار للنفس.
- الإحسان والتفضل في التعامل، والعطاء لأجل تأليف القلوب.

(١) فتح الباري، (٥/٥٧).

الفصل الثاني
صفات الراحم ﷺ وأساليب رحمته بالمخطئين

المبحث الأول
صفات الراحم ﷺ بالمخطئين

بعث الله ﷻ النبي ﷺ خاتمًا للنبيين والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وأثنى ﷻ على نبيه الكريم بالصفات العظيمة، والأخلاق الكريمة؛ فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم:٤]. قال ابن عطية: «وإنما مدحه -تعالى- بكرم السجية، وبراعة القريحة، والملكة الجميلة، وجودة الضرائب»(١). وفي الآية إشارة إلى مدى الارتباط القوي، والتمثّل الكامل الشامل بين أخلاق النبي ﷺ وصفاته، وبين أوامر القرآن الكريم ونواهيه، قال ابن كثير: "ومعنى هذا: أنه ﷺ صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا سجية له وخلقًا تطبعه، وترك طبعه الجِبِلي؛ فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء، والكرم، والشجاعة، والصفح، والحلم، وكل خلق جميل"(٢).

ومن كان هذا طبعه، وهذه سجيته؛ فلاريب أنه مرتقٍ في سلم التميز،

(١) المحرر الوجيز، (٥/٣٤٦).
(٢) تفسير القرآن العظيم، (٨/٢٠٨).

وجدير بأن يُقتدى به؛ لأنه أعظم الرجال، ذكر الشنقيطي في تفسيره: «والخلق العظيم: أرقى منازل الكمال في عظماء الرجال»[1]. ويؤكد القاضي عياض: «بأن خصال الجمال والكمال في البشر نوعان: ضروري دنيوي اقتضته الجِبلة، وضرورة الحياة الدنيا، ومكتسب ديني، وهو ما يحمد فاعله، ويقرب إلى الله -تعالى- زلفى، والرحمة من النوع الثاني»[2].

وإن سيرته ﷺ لتشهد بأنه "(رحمة مهداة)، وأنه غرس معاني الرحمة في أصحابه، وأوصاهم بها، وملأ تعاليمه بذكرها»[3]، ولعل من المهم في جانب تلمّس هدايات رحمته ﷺ في معالجة المخطئين أن نتبيّن شيئًا من صفاته المتعلقة بذلك:

١. اللين:

قد أثنى الله ﷻ على رسوله ﷺ بهذه الصفة؛ لما لها من أثر في إقامة العلاقات الطيبة، وتحقيق اللحمة والترابط بين أفراد المجتمع؛ قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. قال الطبري: «فتأويل الكلام: فبرحمة الله يا محمد، ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك؛ «لنت لهم» لأتباعك وأصحابك، فسهلت لهم خلائقك، وحسّنت لهم أخلاقك؛ حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم من جرمه، وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه؛ لتركك وفارقك ولم يتبعك، ولا ما بعثت به من الرحمة؛ ولكن الله رحمهم ورحمك معهم، فبرحمة الله لنت لهم»[4]. ويقرر القرطبي تلك الصفة، وأنها تفضّل من الله ﷻ: ««فبما» صلة فيها معنى التأكيد، أي: فبرحمة»[5].

(١) أضواء البيان، (٢٤٦/٨).
(٢) الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى، (٤٥).
(٣) السيرة النبوية الصحيحة، (٦٣٨/٢).
(٤) جامع البيان، (٣٤١/٧).
(٥) الجامع لأحكام القرآن، (٢٤٨/٤).

وكان دأب الرسول الكريم ﷺ الرحمة بكل معانيها وأساليبها؛ لما اتصف به قلبه ﷺ من عظمة إيمان، وقوة تصديق؛ فظهر أثر ذلك في تعاملاته مع صحابته، قال ابن القيم: " فإذا أشرق فيه نور الإيمان واليقين بالوعد، وامتلأ من محبة الله وإجلاله؛ رقّ وصارت فيه الرأفة والرحمة، فتراه رحيمًا رقيق القلب بكل ذي قربى"[١]. وتتأكد صفة اللين في المربي؛ لما لها من أثر نفسي كبير في المتربي؛ مما يوجد علاقة إيجابية فعالة، «فتأتي الرحمة التي حثّ عليها الإسلام في كل شيء، والرفق الذي دعا إليه ليقيما التوازن؛ ويحفظا الاعتدال في هذه العلاقة»[٢]. كما أن من المعوّل عليه في هذه الصفة تحقيق المطلوب في المعالجة للأخطاء؛ «فاللطف في المعاملة سبيل لنوال كثير من المقاصد»[٣].

وقد بيّن ابن الجوزي أثر اللين في المخاطبة على المخاطب، قال: «فالله الله أن تُحدّث مخلوقًا من العوام بما لا يحتمله، دون احتيال وتلطف؛ فإنه لا يزول ما في نفسه، ويخاطر المحدث له بنفسه، فكذلك كل ما يتعلق بالأصول»[٤]، ويظهر أثر صفة اللين وارتباطها برحمة المخاطب، وإقباله على الناصح وتقبله للنصحية، فالأسلوب «يكون لينًا، والمتحدث لبقًا، دمث الخلق؛ مما يسبب انشراح الصدر للسماع، بعكس الأسلوب الجاف الذي يؤدي إلى المكابرة والنفور»[٥].

وتظهر صفة الرحمة بالمخطئ والإحسان إليه متلبسة باللين في التعامل في مواقف وحالات معينة، ترتبط إما بغير المسلم، أو بالجاهل ومن في حكمه. أما في حالة الخطأ في أمر شرعي ممن هو متصف

(١) الروح، (٣٧٢).
(٢) العلاقة بين الطالب والمعلم، (٢٥).
(٣) آداب الفتى، (١٠٦).
(٤) صيد الخاطر، (٣٧١).
(٥) العلاقات الإنسانية في الإسلام، (١٥٢).

بالعلم والمعرفة، فيظهر أسلوب الحزم والشدة، قال ابن حزم: «وأما الغلظة والشدة في ذلك للقادر على إقامة الحد خاصة»[١].

ويعدد د. فضل إلهي أصولًا للعدول من اللين إلى الشدة، بما يلي:[٢]

١. عند انتهاك حرمات الله سبحانه.

٢. عند إقامة الحدود.

٣. عند ظهور العناد والاستهزاء بالدين.

٤. عند بدور مخالفة الشرع لدى من لا يتوقع منه.

٢. حسن الخلق:

إن من أهم صفات الراحم بالمخطئ والإحسان إليه، ما ينبغي أن يتمتّع به من حسن الخلق، ولا ريب أن رسول الله ﷺ كان " أعلى الناس قدرًا، وأعظمهم محلًا، وأكملهم محاسنًا وفضلًا"[٣].

ومن خلال سيرته ﷺ وتعاملاته مع أمته؛ يظهر عِظم أخلاقه القولية والفعلية، ذكر صفي الرحمن المباركفوري: "وكان ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، ليس بفظٍّ، ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، وكان أكثر الناس تبسمًا"[٤].

كما أن حسن الخلق من أبرز ملامح الرحمة التي أرسل بها ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧]. قال أبو السعود: «ما أرسلناك في حال من الأحوال إلا حال كونك رحمة لهم، فإن ما بُعثت به سبب لسعادة الدارين، ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين، ومن

(١) مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، (٧٥).
(٢) مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين، (١٨٠).
(٣) الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى، (٤٧).
(٤) روضة الأنوار، (٢٤٣).

لم يغتنم مغانم آثاره؛ فإنما فرّط في نفسه وحرمه حقه؛ لا أنه – تعالى- حرمه مما يسعده»[١].

وتظهر دلالة هذه الرحمة التي اختصّ بها ﷺ ومدى عظمتها وآثارها من خلال تنكير كلمة "رحمة". قال ابن عاشور: " وتنكير "رحمة" للتعظيم؛ إذ لا مقتضى لإيثار التنكير في هذا المقام غير إرادة التعظيم؛ وإلا لقيل: إلا لترحم العالمين"[٢]. ومن آثار رحمته ﷺ بأمته: تحقيق السعادة لهم، ذكر الشنقيطي: " لأنه جاءهم بما يسعدهم وينالون به كل خير من خير الدنيا والآخرة إن اتبعوه، ومن خالف ولم يتبع؛ فهو الذي ضيّع على نفسه نصيبه من تلك النعمة العظمى"[٣].

٣. العلم بأحوال المخاطبين:

إن من الأمور المهمة في تمثّل الرحمة عند التعامل مع المخطئين، أن يكون المتعامل عالمًا بأحوال الناس، فكل نوع من البشر يحتاج إلى أسلوب وطريقة في التعامل؛ لكي يتحقّق الهدف، ويُصلح الخطأ، وتثمر التربية. ومن المهم «معرفة الفروق الفردية عند تصحيح أخطاء الآخرين، فكلما زادت معرفة المعلم بهذه الفروق الموجودة بين التلاميذ؛ سهل تدريبهم وتوجيههم نحو تحقيق الأغراض التربوية المختلفة»[٤].

وكما أن مغاليق الأبواب لها مفاتيح، فكذلك مغاليق النفوس لها مفاتيح؛ فلا بد أن يتصف الراحم بالمفاتيح التي من خلالها يتيسر له التعامل مع مختلف النفوس البشرية؛ وتُقصّر الزمن اللازم للتأثير وتحقيق الاستجابة المناسبة، والتأثر بالإقلاع عن الخطأ، والسعي نحو تمثل الحق

(١) إرشاد العقل السليم، (٨٩/٦).
(٢) التحرير والتنوير، (١٦٥/١٧).
(٣) أضواء البيان، (٢٥١/٤).
(٤) علم نفس الفروق الفردية وتطبيقاتها التربوية، (١٢١).

والانصياع له. ذكر فضل إلهى في ذلك عن النبي ﷺ: "فاستعمل ﷺ الرفق بالجاهل، واستخدم الشدة مع من صدر منهم ما لا يتوقع منهم ذلك؛ لطول صحبتهم له ﷺ"[١].

٤. تقدير الموقف وتشخيص الخطأ:

يعتمد النجاح في معالجة الخطأ على ما يتصف به الراحم في إحسانه إلى المخطئ على حسن تقديره للموقف الخطأ عمومًا، والتمكّن العقلي من تحليل الخطأ وتشخيصه، وأن تكون النظرة موضوعية واقعية، فعبدالله بن عمرو قال: أُخبِر رسول الله ﷺ أني أقول: "والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت"، فقلت له: "قد قلته بأبي أنت وأمي"، قال: (فإنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر وقم ونم وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر)، قلت: «إني أطيق أفضل من ذلك»، قال: (فصم يوما وأفطر يومين)، قلت: «إني أطيق أفضل من ذلك»، قال: (فصم يوما وأفطر يوما فذلك صيام داود عليه السلام وهو أفضل الصيام) فقلت: «إني أطيق أفضل من ذلك»، فقال النبي ﷺ: (لا أفضل من ذلك)[٢]، يذكر د .النغيمشي عن ذلك: «وهي قدرة المربي على تقدير الموقف والموضوع، والتعامل معه في أقصى حد ممكن من الاستطاعة، حسب ما يتطلبه الحال أو الشخص، وبما يؤدي إلى تحقيق الأهداف، وذلك ضمن الضوابط الشرعية»[٣].

ومن تقدير الموقف أن يتعرّف الراحم على مدى مستوى عقلية المقابل، فبحسبها يختار الأسلوب المناسب للتغيير، فعن المعرور بن سويد، قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك. فقال:

(١) مرعاه أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة، (٨٦).
(٢) أخرجه البخاري: في كتاب الصوم، (١٨٧٥).
(٣) علم النفس الدعوي، (٣٠٣).

إني سابببت رجلا فعيرته بأمه فقال لي النبي ﷺ: (يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم)[1]، قال ابن سعدي: «وعلى المعلم أن ينظر إلى ذهن المتعلم، وقوة استعداده أو ضعفه»[2]. كما ينبغي أن يهتم بردود أفعال المخطئين، وأن يكون لديه البدائل المناسبة لمقابلتها، قال ابن الجوزي عن ذلك المخطئ في فصل عقده عن التأني في معاملة الناس:» إن اعتذر قبلت، وإن أخذ في الخصومة صفحت، وأريته أن الأمر قريب»[3].

وبناء على ما يظهر للراحم من تحليل لشخصية المخطئ؛ فإنه يتصرّف بما يناسب ذلك، ذكر د. النغيمشي أنه ينبغي «أن ينظر إلى المتربي من خلال قدراته، فلا يحمّله ما لا يطيق، ولا يخاطبه بما لا يفهم، ولا يعامله لما يفوق مرحلته العمرية، ولا يحاسبه على ما لا يكون في وسعه»[4].

٥. التوازن الاتصالي:

إن مما يجدر بالراحم عند إحسانه في التعامل مع عيوب المخطئين، أن يتصف بالأسلوب المناسب، سواء كان في الخطاب اللفظي، أو التصرف الحركي. ومن جانب الخطاب يذكر د.النغيمشي: «أو يكون هناك عناية بحسن الخطاب، والحوار مع المتعلم؛ حسن الإنصات له»[5]. كما أن التوجيه غير المباشر في تصحيح الأخطاء له أثره في رحمة المخطئ والإحسان إليه، بحيث لا يقع في حرج أمام الملأ، يذكر ابن حميد: «أن التوجيه غير المباشر

(١) أخرجه البخاري: في كتاب الإيمان، (٣٠).
(٢) فوائد في أدب المعلمين والمتعلمين، (١٣).
(٣) صيد الخاطر، (٣٠٤).
(٤) علم النفس الدعوي، (٢٩٩).
(٥) علم النفس الدعوي، (٣٠٤).

من شأنه أن يتخطّى أو يتفادى التصادم مع كثير من العقبات النفسية المختلفة»[١].

وكان من هدي النبي ﷺ أن يوجّه بشكل عام إن رأي خطأ أو تجاوزًا من أحد الصحابة فيعمم الخطاب، يقول الرحيلي: " وأما النطق بعيوب الناس؛ فعيب كبير لا يسوغ أصلًا، والواجب اجتنابه"[٢]. كما أنه يتضح من سيرة النبي ﷺ فيما سبق من أمثلة الفصل الأول؛ حلمه في تعامله مع كل من أخطأ عليه من الجهّال، ذكر ابن حزم: "والمداراة فضيلة متركبة من الحلم والصبر"[٣].

وعندما يتصف الراحم بتلك الصفات، ويتمثلها في نفسه، ويصطبغ بها أسلوبه؛ فإن لها أثرًا بالغًا في بناء علاقات إنسانية متجذرة، وإلى أبعاد نفسية إيجابية قائمة على التفاعل المتبادل والارتياح العاطفي؛ مما يقرّب القلوب، ويبني جسور التواصل؛ وعندها يحدث التأثير. قال النغيمشي: «والمربي عمومًا إذا اتسم بالحصافة والنباهة، اللتين تهديانه إلى إيصال التوجيه والخبرة للمتربي بطريقة عفوية نابعة من ذات البيئة التربوية وظروفها، وبأسلوب غير مباشر ولا ملول؛ فإنه يستطيع بناء علاقة أوثق، وتفاعل تربوي أعمق»[٤].

المبحث الثاني
أساليب رحمتة ﷺ بالمخطئين

بعد تناول بعض أهم صفات الراحم لمن يتلبس بالخطأ، من خلال النظر

(١) التوجيه غير المباشر وأثره في التربية وتغيير السلوك (١٦)
(٢) الأخلاق الفاضلة، قواعد ومنطلقات لاكتسابها (١٧٩)
(٣) مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق (٧٠)
(٤) علم النفس الدعوي (٢٨٩)

والتأمل في سيرة النبي ﷺ؛ ناسب أن نستعرض شيئًا من أهم الأساليب المستخدمة في التعامل عند معالجة الأخطاء. وما تلك الأساليب والطرائق إلا مؤشر على مدى ما تخلّق به النبي ﷺ من أخلاق عالية، ومن رحمة وشفقة بأمته، وبها أُرسل ﷺ؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧]. قال ابن عاشور: «ووقوع الوصف مصدرًا يفيد المبالغة في هذا الاتحاد، بحيث تكون الرحمة صفة متمكنة من إرساله.. وتفضيل ذلك يظهر في مظهرين: الأول: تخلّق نفسه الزكية بخلق الرحمة، والثاني: إحاطة الرحمة بتصاريف الشريعة.. أي: ما فيها من مقومات الرحمة العامة للخلق كلهم؛ لأن قوله تعالى: (للعالمين) متعلق بقوله: (رحمة)»[1].

وإن من أهم مظاهر رحمته ﷺ ما يظهر في تعاملاته مع أمته من أساليب حانية، وطرائق محببة؛ تقرب النفوس للنفوس، وتؤلف القلوب، وتكسب الحب والمودة، وتزيد من الثبات على الإيمان؛ قال تعالى: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦١﴾ [التوبة:٦١]. قال الطبري: «ورحمة، بالرفع عطفًا بها على «الأذن»، بمعنى: وهو رحمة للذين آمنوا منكم، وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه، وصدق بما جاء به من عند ربه؛ لأن الله استنقذهم به من الضلالة، وأورثهم باتباعه جناته»[2].

وقد بيّن أبوحيان وجه تخصيص الرحمة بالمؤمنين، وإن كان ﷺ رحمة للعالمين بقوله: "لأن ما حصل لهم بالإيمان بسبب الرسول ﷺ لم يحصل لغيرهم، وخصوا هنا بالذكر، وإن كانوا قد دخلوا في العالمين؛ لحصول مزيتهم"[3].

(١) التحرير والتنوير، (١٦٦/١٧).
(٢) جامع البيان، (٣٢٨/١٤).
(٣) البحر المحيط، (٤٤٩/٥).

وتحتوي سيرة النبي ﷺ على كم كبير من الأساليب الرحيمة في تعامله ﷺ عند معالجة المخطئين، ومنها:

١. العفو، والاستغفار، والمشاورة:

خلق الله ﷻ الإنسان، وجعله مُعرّضًا للخطأ، قال ﷺ: (كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)[١]. وتتنوّع أسباب الخطأ وتتعدد، وفي ذلك يذكر ابن الجوزي أن من المخطئين: «الجاهل بالخطأ «المحظور»، الظان بأن المحظور مكروه وليس بمحرم، المتأول، المخطئ عن شهوة، العالم بالخطأ، المغتر بالعفو»[٢]. ويذكر الرحيلي أن من أسباب وقوع الإنسان في الخطأ «غفلته عن موقعه، وعن اللائق به... وغلبة الشهوة والهوى.. أو أن يقع فيه عفوًا من غير قصد»[٣]. ولأجل مقابلة تلك الأخطاء ومعالجتها، يوجّه الله ﷻ نبيه ﷺ بقوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]؛ حيث يرشد الله ﷻ نبيه محمد ﷺ إلى الطريقة التي يتعامل فيها مع أصحابه، خاصة ما يواجهه من أذى ونحوه. قال الطبري: "فاعف عنهم»، فتجاوز يا محمد عن أتباعك وأصحابك من المؤمنين بك، وبما جئت به من عندي، ما نالك من أذاهم ومكروه في نفسك، واستغفر لهم، وادع ربك لهم بالمغفرة لما أتوا من جرم، واستحقوا عليه عقوبة منه"[٤]. وإن في ذلك الأسلوب لأثرًا جليًّا فيمن يصدر منه الخطأ أو التقصير. يذكر الطبري عن تطبيق ذلك الأسلوب من قِبل نبيه محمد ﷺ " تألفًا منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام البصيرة التي يؤمن عليه معها فتنة الشيطان"[٥].

ويلفت القرطبي إلى سرّ ذلك التدرج الوارد في الآية بوصفه أسلوبًا من

(١) أخرجه الترمذي، (٢٤٩٩)، وابن ماجة، (٤٢٥١)، وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (٣١٣٩).
(٢) صيد الخاطر، (٣٢).
(٣) الأخلاق الفاضلة، قواعد ومنطلقات لاكتسابها، (١١٠-١١١).
(٤) جامع البيان، (٣٤٣/٧).
(٥) جامع البيان، (٣٤٥/٧).

أساليب التعامل مع الآخرين عند معالجة أخطائهم، وتوجيه سلوكياتهم: «أمر الله -تعالى- رسوله بهذه الأوامر التي هي بتدريج بليغ، وذلك أنه أمره بأن يعفو ﷺ عنهم ما له في خاصته عليهم من تبعة وحق، فإذا صاروا في هذه الدرجة؛ أمره أن يستغفر لهم فيما لله عليهم من تبعة، فإذا صاروا في هذه الدرجة؛ كانوا أهلًا للاستشارة في الأمور"[1]. وإن من الأهمية بمكان أن يعتمد أسلوب الناصح الرحيم على عملية تتبع الخطأ، وتحليله، ثم العمل على تنظيم عملية معالجته على شكل معالم أو مبادئ، مراعيًا فيها جوانب الشخصية الإنسانية الاجتماعية، والانفعالية، والجسدية بشكل واقعي متوازن منتظم منضبط، وفي ذلك يؤكد الأقصري على «أهمية تشخيص أسباب المشكلة، عن طريق الوقوف على كافة الظروف والملابسات التي تُعين على تحري الحقيقة، والتعرف على تفاصيل الشخصية، والنشأة، والميول، ودرجة الذكاء، والثقافة»[2].

ولا ريب أن في التحليل العميق لشخصية الإنسان، واختيار الأسلوب المتلائم في التعامل لأثرًا كبيرًا في تعديل المعوج، وتصحيح الخطأ.

٢. التواصل التربوي ومراعاة النفسيات:

أثنى الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ في علاقته مع أمته وتعاملاته معهم بأنه "رحمة"؛ قال تعالى: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ [التوبة:٦١]. قال أبو السعود: «وهو رحمة، بطريق إطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]، أي: للذين أظهروا الإيمان منكم، حيث يقبله منهم؛ لكن لا تصديقًا لهم في ذلك؛ بل رفقًا بهم، وترحمًا عليهم، ولا يكشف أسرارهم، ولا يهتك أستارهم»[3].

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٤/٢٤٩).
(٢) كيف نفهم الشباب ونتعامل معهم، (١٤١).
(٣) إرشاد العقل السليم، (٤/٧٧).

كما وجّه الله – جل وعلا– أتباع النبي محمد ﷺ إلى المنهج الذي ينبغي أن يُتبع عند التعامل مع بعضهم؛ قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]. قال القرطبي: «أي: يرحم بعضهم بعضًا»[١]. وبتحقيق هذه الرحمة المتبادلة؛ يحصل التواصل الإنساني الإيجابي المثمر؛ حيث إنه «يزيد من قدرتنا على توجيه مختلف الأعمار، والتحكم في العوامل والمؤثرات التي تؤثر في النمو؛ بما يحقق التغيرات المفضلة لدينا، ويوقف التغيرات السيئة»[٢]. كما أن غاية التواصل الإنساني إحداث التفاعل الاجتماعي المناسب، وإحداث التغيير الإيجابي، وتعديل السلوك البشري. ويذكر د. حامد زهران: «أن التفاعل الاجتماعي هو ما يحدث عندما يتصل فردان أو أكثر، ويحدث نتيجة لذلك تعديل للسلوك»[٣]. وبقدر ما يكون ذلك التواصل الإنساني مبنيًّا على أسس وقواعد دقيقة، ومراعيًا لمختلف العوامل المحيطة؛ فإنه يكون تغييرًا مستمرًا، سريعًا، عميق الجذور، واسع النطاق، هادف المقصد، منطلق السريرة»[٤].

٣. الإقناع العقلي:

إن من أساليب الراحم في إحسانه إلى المخطئ في معالجته لخطئة، اللجوء إلى سبيل الإقناع بالحجة، ومن ذلك قصة الشاب الذي طلب من الرسول ﷺ الإذن بالزنا، فقال له رسول الله ﷺ: " أتحبه لأمك.. "[٥]. وقد أكد الحسين جرنو على «تنويع وسائل الإقناع العقلي للمخالف، وفي ذلك تنبيه على أمور قد تخفي على ذهن المخطئ، أو يغفل عنها»[٦]. كما أكد

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٢٩٢/١٦).
(٢) علم نفس النمو، (١٣)
(٣) علم النفس الاجتماعي، (٢٠٣)
(٤) علم النفس الاجتماعي، (٢١٥)
(٥) أخرجه أحمد في المسند، (٥٤٥/٣٦)، برقم ٢٢٢١١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٣٤: رجاله رجال الصحيح، وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة ١/٧١٢، وصححه الوداعي في الصحيح المسند (٥٠١).
(٦) أساليب التشويق والتعزيز، (١٥٨).

على أثر الإثارة الوجدانية[١] في معاونة العقل على التفاعل عند معالجة الخطأ، والسعي إلى التصحيح؛ لأن الفرد المخطئ يحتاج إلى مزيد تفكير وتأمل في حاله ومآله، إن كان لديه قصور في معرفة ما آلت إليه الأمور، أو ضيق أفق في علمه. ويذكر النغيمشي: «أن النظر والتأمل عملية فكرية ذاتية يقوم بها الفرد، ويحفّزها ما يعيش فيه الفرد من وسط كوني، وحياتي، وإنساني، ثابت ومتجدد، ويمثّل مجالاً للتفكير والتدبر»[٢].

ولذا لزم على الراحم في معالجته للمخطئ أن يحسن التشخيص للموقف، ويحسن التعامل في المعالجة؛ لأجل المساعدة على الرقي بحال المقابل. ويؤكد زهران على ضرورة «فهم طاقات الفرد، ومساعدته في التعرف على تنمية قدراته الاجتماعية، والانفعالية، والعقلية»[٣]. ويتبع ذلك تحيّن الوقت المناسب في عملية الإقناع العقلي[٤]، والتعامل بالحسنى، والقرب النفسي والعاطفي من المخطئ، يقول ابن حزم: «الاتساء بالنبي ﷺ في وعظه أهل الجهل والمعاصي والرذائل واجب، فمن وعظ بالجفاء والاكفهرار؛ فقد أخطأ، وتعدى طريقته ﷺ"[٥].

٤- الستر:

قد لا يدرك فئام من الناس مآلات ما يقعون فيه من أخطاء، أو تجاوزات بحق الله -تعالى- أو بحقوق الناس، قال ابن القيم: «وكثير من الجهال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه، فضيّعوا أمره ونهيه، ونسوا أنه شديد العقاب»[٦].

(١) المرجع السابق، (٢٥٦).
(٢) المراهقون، (١٦٦).
(٣) علم النفس الاجتماعي، (٣٩٠).
(٤) كيف تقنع الآخرين، (٢٢-٢٦).
(٥) مداراة النفوس، (٧٣).
(٦) الجواب الكافي، (٢٧).

وتبرز أهمية صفة الرحمة من خلال رحمتهم بالستر عليهم دون جرح لمشاعرهم، وبتقديم النصيحة لهم، والتصحيح لما هم فيه من خطأ بطريق التعميم؛ فإن «النصيحة إحسان إلى من تنصحه بصورة الرحمة»[١]. ويقرر المدخلي «إن معالجة الخطأ قائم على أمرين، هما: النصح، والستر»[٢]. والمذنب محتاج إلى عفو ربه عنه، وستره فلا ينفضح، ويعصمه؛ فلا يوقعه في نظيره[٣].

ويحدّد ابن حزم مدى أثر التعميم في النصيحة والموعظة بطريقة مقبولة محببة إلى النفس، فقال: «ومن وعظ ببشر وتبسم ولين، وكأنه مشير برأي، ومخبر عن غير الموعوظ بما يستقبح من الموعوظ؛ فذلك أبلغ وأنجع في الموعظة»[٤].

وبتوفر أسلوب الستر على المخطئ؛ يتحقّق العديد من الأهداف، يذكر منها الأقصري: «أن نوفّر للشباب الأمان، والعطف، والإحساس بالاستقلالية»[٥]. وبملاحظة ذلك الأمر؛ يكون هناك رؤية فاحصة، وناقدة، ومشخصة لاختلاف أطياف البشر، واختلاف عقلياتهم، يقول المنصور حول ذلك: «تختلف أشكال التعامل بين أفراد المجتمع ضمن أطر قيمية، وبأساليب تكاملية مترابطة هادفة إلى تحقيق التطوير الشامل»[٦].

(١) الروح، (٣٨١).
(٢) فقه التعامل مع الأخطاء على ضوء منهج السلف، (٦٥).
(٣) تفسير القرآن العظيم، (٢/٩١).
(٤) مداراة النفوس، (٧٤).
(٥) كيف نفهم الشباب ونتعامل معهم، (٧٩).
(٦) العلاقات الإنسانية في الإسلام، (١٧)، بتصرف.

الخاتمة

نتائج البحث:

ظهر من خلال البحث ما يلي:

١. أن الرحمة صفة قلبية فطرية، ومكتسبة، ويظهر أثرها في صورة إحسان وتفضّل على الناس عامة، والمخطئين على وجه الخصوص.

٢. عظم رحمة النبي ﷺ وشمول إحسانه على جيع فئات المخطئين من المسلمين وغير المسلمين، سواء أكانوا جاهلين أم عالمِين.

٣. أن أوجه الإحسان المترتبة على الرحمة بالمخطئين تختلف وتتنوع حسب حال المخطئ؛ فقد يكون الإحسان:

أ. هادفًا إلى تأليف القلب، إن كان غير مسلم، أو حديث عهد بإسلام.

ب. حازمًا إن كان الخطأ من شخص عالم؛ إشعارًا بتعظيم حدود الله ﷻ.

ج. متعاملًا بمداراة ولين إن كان المقابل جاهلًا، لتثبيت قلبه، وزيادة إيمانه، كما يوضحها الجدول التالي:

الصنف	غير مسلمين	المسلمون	
		عالمون	جاهلون
الأسلوب	البذل والإحسان	الحزم والجدية	المدارة واللين
الهدف	تأليف القلوب	تعظيم الشعائر	التثبيت

٤. ظهور أثر الرحمة وأوجه الإحسان المترتبة عليها على ضبط العلاقات الإنسانية، وتهذيب الأخلاق، وحسن التصرف مع الآخرين، وتقليل المشكلات بين البشر؛ بل وإشاعة المحبة، والترابط، وزيادة اللحمة بين الأفراد في المجتمع.

توصيات البحث:

١. أهمية تلمّس هدايات رحمة النبي ﷺ وأوجه إحسانه في معالجة أخطاء المخطئين في مختلف مصادر السنة النبوية، واستخراج القيم والمبادئ العلاجية للأخطاء من خلال المواقف والأحداث.

٢. ضرورة مراعاة حالة المخطئ، وعمره، والقرائن التي تحيط بالموقف عند إرادة معالجة الأخطاء، وتحويل الموقف السلبي إلى سلوك إيجابي.

٣. الاهتمام ببناء صفات الراحم، ممن يدعو إلى الله -سبحانه- خدمة للدعوة الإسلامية، ونشر الدين الإسلامي العظيم.

٤. العناية بتعليم المسؤولين والقياديين وتدريبهم خاصة، والناس عامة على الأساليب الراحمة، وطرائق الإحسان المناسبة عند التعامل مع المخطئين من المرؤوسين أو المتربين.

٥. تقرير أن تكون الرحمة وأوجه الإحسان المترتبة عليها بالمخطئين سلوكًا دائمًا، حيويًّا، مستمرًا، ثابتًا بين الناس.

قائمة المراجع والمصادر

١. أبعاد أحاديث الرأفة بالعصاة وبغير المسلمين – دراسة تحليلية –، د. زياد محمد الخضير، مجلة كلية العلوم الانسانية، ج ٧- العدد ١٤-١، جامعة الموصل، ٢٠١٣م

٢. الأخلاق الفاضلة. عبدالله الرحيلي. ط٣، الرياض: وكالة المطبوعات، وزارة الشؤون الاسلامية، ١٤٣٠هـ.

٣. آداب الفتى. علي فكري. تحقيق: محمود الأرناؤوط، الرباط: منشورات الإيسسكو، ١٤٢٨هـ.

٤. إرشاد الساري شرح صحيح البخاري. القسطلاني، أحمد بن محمد. ط٧، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ.

٥. أساس البلاغة. الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٦. أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم. د. الحسين جرنو. ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ.

٧. الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، مكناس -المغرب، د. إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الاسلامية، مجلد م٨، العدد ١٥، ١٤٣٥هـ

٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ.

٩. الانفعالات التشخيص والعلاج. أ. د. عبدالعزيز النغيمشي. ط٢، الرياض: دار الهدى، ١٤٢٢هـ.

١٠. البحر المحيط. أبو حيان، محمد بن يوسف، تحقيق: عادل

عبدالموجود وآخرون. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.
١١. التحرير والتنوير. ابن عاشور، الطاهر بن محمد. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
١٢. تصفية القلوب من أدران الأوزار والذنوب، اليماني الذمار، يحيى بن حمزة، تحقيق: د. حسين الأهدل. ط٣، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٥هـ.
١٣. التعريفات. الجرجاني، علي بن محمد. ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ.
١٤. تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. ط٢: دار طيبة، ١٤٢٠هـ.
١٥. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان. النيسابوري، نظام الدين الحسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.
١٦. التوجيه غير المباشر وآثره في التربية وتغيير السلوك. صالح بن عبدالله بن حميد. ط١، الرياض: دار المسلم، ١٤١٤هـ.
١٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: أحمد شاكر. ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.
١٨. الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، محمد بن أحمد، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم الخفيش. ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ.
١٩. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. ط١، القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ.
٢٠. الحرص على هداية الناس، د. فضل إلهي. ط٤، باكستان: إدارة ترجمان الإسلام، ١٤١٩هـ.
٢١. خصائص الرحمة عند النبي محمد ﷺ. د. عادل اسماعيل، مجلة

كلية الآداب، جامعة البصرة عدد (٦٨)، ٢٠١٤م.
٢٢. الرحمة في القرآن الكريم. موسى بن عبده العسيري. ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٢هـ.
٢٣. الروح. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. ط٤، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ.
٢٤. روضة الأنوار في سيرة النبي المختار. صفي الرحمن المباركفوري، ط ٢، الرياض: دار السلام، ١٤١٥هـ.
٢٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها. محمد ناصر الدين الألباني، ط١، مكتبة المعارف.
٢٦. السيرة النبوية الصحيحة. د. أكرم ضياء العمري. ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ.
٢٧. شباب الصحابة رضي الله عنهم مواقف وعبر. محمد الدويش. ط٢، الرياض: دار الوطن، ١٤١٩هـ.
٢٨. شرح صحيح البخاري. ابن بطال، علي بن خلف، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط٢، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ.
٢٩. الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى. اليحصبي، أبو الفضل عياض. ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٢هـ.
٣٠. صحيح البخاري. أبو عبدالله، محمد بن اسماعيل البخاري. تركيا: المكتبة الاسلامية، ١٣١٥هـ.
٣١. الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين، مقبل بن هادي الوادعي، ط١، صنعاء: مكتبة دار القدس (١٤١١هـ)
٣٢. صحيح مسلم بشرح النووي. أبو زكريا، يحيى بن شرف. بيروت: دار افكر، ١٤٠١هـ.
٣٣. صيد الخاطر. ابن الجوزي، أبي الفرج عبدالرحمن بن علي،

تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض. ط٥، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ.

٣٤. العلاقات الإنسانية في الإسلام. خالد منصور المنصور. ط٢، الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٣هـ

٣٥. العلاقة بين الطالب والمعلم. د. محمود إسماعيل عمار. ط١، الرياض: دار المسلم، ١٤١٥هـ.

٣٦. علم النفس الاجتماعي. د. حامد زهران. ط٥، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٤هـ.

٣٧. علم النفس الدعوي. د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي. ط١، الرياض: دار المسلم، ١٤١٥هـ.

٣٨. علم نفس الفروق الفردية وتطبيقاتها التربوية. د. أحمد محمد الزغبي. ط١، دمشق: دار الفكر، ١٤٢٨هـ.

٣٩. علم نفس النمو. د. حامد زهران. ط٥، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٥م.

٤٠. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري. العينى. أبو محمد، محمود بن أحمد. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٤١. عوارض الأهلية عند الأصوليين، حسين خلف الجبوري، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ

٤٢. فتح البارئ شرح صحيح البخاري، ابو الفضل العسقلاني، أحمد بن علي، صححه محب الدين الخطيب. بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

٤٣. فقه التعامل مع الأخطاء على ضوء منهج السلف. د. عبدالرحمن المدخلي،. ط١، الرياض: دار المعارج، ١٤١٩هـ.

٤٤. فن التعامل مع الناس. د. عبدالله الخاطر. ط١، لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤١٣هـ.

٤٥. فن التواصل مع الناس. د. حسن رقيق. افريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٩م.
٤٦. فوائد في آداب المعلمين والمتعلمين. عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط١، الرياض: دار الحميضي، ١٤١٤هـ.
٤٧. القاموس المحيط. الفيروز آبادي، مجد الدين، محمد بن يعقوب. ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ.
٤٨. كيف تحاور. د. طارق الحبيب. ط٤، الرياض: دار المسلم، ١٤١٨هـ.
٤٩. كيف تحصل على أفضل ما لدى الآخرين. محمد ديماس. ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢١هـ.
٥٠. كيف تقنع الآخرين. عبدالله العوشن. ط١، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٣هـ.
٥١. كيف نفهم الشباب ونتعامل معهم. يوسف الأقصري. ط١، القاهرة: دار الطائف، ٢٠٠٢م.
٥٢. مجمع الزوائد، علي بن ابي بكر الهيثمي، ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي (١٩٧٦).
٥٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ابن عطيه، عبدالحق بن غالب، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.
٥٤. مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد البغدادي، ط٧، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٣م
٥٥. مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق. ابن الحزم، علي بن أحمد الظاهري، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان. (ب.ت)
٥٦. المراهقون. د. عبدالعزيز النغيمشي. ط١، الرياض: دار طيبة، ١٤١١هـ.

٥٧. مرعاه أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة. د. فضل الهي. ط١، باكستان: إدارة ترجمان القرآن، ١٤١٧هـ.
٥٨. المعجم الموسوعي لعلوم التربية. د. أحمد أوزي،. ط١، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٤٢٧هـ.
٥٩. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو. ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٤١٨هـ.
٦٠. المفردات في غريب القرآن. الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسن بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة. (ب.ت)
٦١. هل كان محمد ﷺ رحيماً ؟. محمد حسام الدين خطيبة، البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة، التابع لرابطة العالم الإسلامي، ٢٠٠٧م.